Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.375-383
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٣٧٥-٣٨٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

عبد الجبار الرفاعي وتجديد الفكر الديني: رؤية نقدية لمعاجلة التطرف والإرهاب

كاظم عبد النبي لعيبي [١][*] ، علي عبد الهادي المرهج [٢]
(١) كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية ، بغداد، العراق
(٢) كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية ، بغداد، العراق
(*) الكاتب المسؤول: Padel.iq@palmsofbaghdad.com

الملخص

يشهد العالم الإسلامي تحديات غير مسبوقة بسبب تصاعد ظاهرة التطرف والإرهاب، الأمر الذي أفضى إلى ضرورة إعادة النظر في بنية الفكر الديني ومناهج تأويل النصوص. يهدف هذا البحث إلى تحليل مشروع المفكر العراقي عبد الجبار الرفاعي الذي مثّل علامة فارقة في نقد الأيديولوجيا الدينية، والدعوة إلى تأسيس علم كلام جديد يعيد الدين إلى جوهره الإنساني بعيدًا عن التوظيف السياسي أو الطائفي. كما يناقش البحث مقاربة الرفاعي تجاه ظاهرة التكفير وسبل مواجهتها عبر تحديث الخطاب الديني. خلص البحث إلى أن فكر الرفاعي يشكّل رؤية إصلاحية عقلانية وإنسانية قادرة على المساهمة في بناء مجتمع متسامح وسلمي.

الكلمات المفتاحية: عبد الجبار الرفاعي، علم الكلام الجديد، الفكر الإسلامي المعاصر، التطرف، الإرهاب.

تأريخ الاستلام: ١٢-٥-٢٠٢٥ تأريخ القبول: ٣٠-٦-٢٠٢٥ تأريخ النشر: ١-١٢-٢٠٢٥

Abdul Jabbar Al-Rifai and the Renewal of Religious Thought: A Critical Perspective on Addressing Extremism and Terrorism

Kazem Abdul Nabi Laibi[(1)(*)], Ali Abdul Hadi Al-Marhej [(2)]
(1) **College of Arts/Al-Mustansiriya University**, Baghdad, Iraq
(2) **College of Arts/Al-Mustansiriya University**, Baghdad, Iraq
(*) Corresponding author: **Padel.iq@palmsofbaghdad.com**

Abstract

The Islamic world is facing unprecedented challenges due to the rising phenomenon of extremism and terrorism, which has necessitated a reassessment of the structure of religious thought and the methods of interpreting sacred texts. This study aims to analyze the intellectual project of the Iraqi thinker Abdul Jabbar Al-Rifai, who has become a prominent figure in critiquing religious ideology and advocating for the establishment of a new Ilm al-Kalam that restores religion to its humanistic essence, away from political or sectarian exploitation. The research also examines Al-Rifai's approach to the phenomenon of takfir (excommunication) and the means of addressing it through the renewal of religious discourse. The study concludes that Al-Rifai's thought represents a rational and humanistic reformist vision capable of contributing to the building of a more tolerant and peaceful society.

Keywords: Abdul Jabbar Al-Rifai, New Ilm al-Kalam, Contemporary Islamic Thought Extremism, Terrorism.

Received: 12-5-2025 Accepted: 30-6-2025 Published: 1-12-2025

مقدمة

شهد الفكر العربي الإسلامي في العقود الأخيرة تصاعدًا ملحوظًا في خطاب العنف والتطرف وتحوّلت ظاهرة الإرهاب إلى إشكالية مركبة تهدد الأمن الاجتماعي والفكري والإنساني.

وقد أسهمت الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلى جانب التفسيرات الجامدة للنصوص الدينية في تفاقم هذه الظاهرة وإضفاء مشروعية زائفة على العنف باسم الدين.

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.375-383
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٣٧٥-٣٨٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

وفي خضم هذا المشهد برزت أصوات فكرية دعت إلى إعادة النظر في بنية الفكر الديني وآليات قراءة النصوص، ومن أبرز هذه الأصوات المفكر العراقي عبد الجبار الرفاعي الذي أسهم في تأسيس «علم الكلام الجديد» وسعى إلى تقديم قراءة تأويلية إنسانية للنصوص بعيدة عن التوظيف الأيديولوجي والسياسي تهدف إلى استعادة البعد الروحي والأخلاقي للدين.

لقد تميز مشروع الرفاعي برؤية نقدية تتناول جذور الأزمات الفكرية التي أنتجت خطاب العنف مع تأكيده على ضرورة تجديد آليات التفكير الديني لتكون أكثر انسجامًا مع المتغيرات الحضارية والإنسانية. كما يُعَدّ من الأصوات القليلة التي سعت إلى تفكيك العلاقة بين الدين والأيديولوجيا محذرًا من مخاطر التوظيف السياسي للنصوص في إذكاء الصراعات. ويبرز في فكره اهتمام خاص بالبعد الإنساني للدين، وذهب إلى أن الأديان جاءت في جوهرها لترسيخ قيم الرحمة والعدل وصون كرامة الإنسان. من هنا تكتسب دراسة مشروعه أهمية خاصة في ظل التحديات الراهنة التي تواجه المجتمعات العربية والإسلامية في التصدي للفكر المتطرف.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على المشروع الفكري للرفاعي وبيان إسهاماته في تفكيك بنية التطرف ومواجهة ظاهرة الإرهاب فكريًا من خلال مقاربات فلسفية ولاهوتية فضلًا عن استكشاف رؤيته لإعادة بناء الخطاب الديني على أسس عقلانية وإنسانية قادرة على ترسيخ قيم التسامح والتعايش في المجتمعات العربية والإسلامية.

تمهيد

عبد الجبار الرفاعي مفكر وفيلسوف عراقي معاصر ولد عام ١٩٥٤ في محافظة ذي قار بالعراق. يُعنى بقضايا تجديد علم الكلام والفكر الديني ويُعرف بدعوته إلى أنسنة الدين وتطوير الفكر الديني ليكون أكثر انفتاحًا على قيم الرحمة والحرية والعقلانية. نشأ في بيئة دينية ريفية ودرس العلوم الدينية في الحوزة العلمية والجامعات وله مؤلفات عديدة في الفكر الديني والفلسفة الإسلامية.

يؤسّس الرفاعي فهمه للدين على إعادة تعريف الإنسان وإعادة تعريف الدين وإعادة قراءة نصوصه في أفق العصر وإعادة تحديد وظيفته في الحياة والكشف عمّا يمكن أن يقدّمه الدينُ للإنسان من احتياجات روحيّة وأخلاقية وجمالية وما يترقبه الإنسانُ من عواطف ورفق وشفقة ورحمة يمنحها الدينُ للحياة وما يُلهِمُه للروح من سكينة وللقلب من طمأنينة. وفي ضوء ذلك يعيد الرفاعي تعريفه الخاصّ للدين، فيراه ((حياةً في أفق المعنى، تفرضها حاجةُ الإنسان الوجودية لإنتاج معنى روحي وأخلاقي وجمالي لحياته الفردية والمجتمعية)) (الرفاعي، ٢٠٢٢م، الصفحات ١١-١٢).

يُقدّم الرفاعي في هذا التعريف منظورًا حداثيًا للدين، ينتقل به من كونه منظومة مغلقة من الأحكام والطقوس إلى كونه تجربة وجودية مفتوحة تستجيب لحاجات الإنسان في أبعاده العميقة. فحين يعرّف الدين بأنه "حياة في أفق المعنى" فهو يعيد ربطه بالأسئلة الكبرى للوجود ويخرجه من أسر الصراعات الأيديولوجية أو التفسيرات الجامدة إلى فضاء أرحب يتقاطع فيه الروحي مع الجمالي والخلقي مع الإنساني.

هذا الطرح يتجاوز المفاهيم التقليدية التي جعلت من الدين مجرد إطار للواجب والحرام والحلال ليُعيد الاعتبار لوظيفة الدين كمنبع للسكينة والرحمة والطمأنينة وهي وظائف غالبًا ما تُهمَّش في سياقات التسييس أو التمذهب.

الرفاعي بذلك لا يُنكر البعد العقدي أو التشريعي للدين، لكنه يسعى إلى تحريره من الجمود والماضوية ليجعله فاعلًا في صناعة المعنى والكرامة والرحمة في الحياة المعاصرة. إنه طرح يُنصت لحاجة الإنسان لا إلى ماضٍ مكتفٍ بذاته.

ويرى الرفاعي إلى أنّ أخطر ما أصاب الدين هو تحوّله إلى أيديولوجيا سياسية تُستخدم وسيلة للتحريض والصراع. فيقول في كتابه الدين والظمأ الأنطولوجي: ((الدين في مفهومي يمكن ان تستغله الأيدولوجيا فينقلب الى سم يدمر الحياة، ويحطم الحضارة والتدمن البشري، مثلما تستثمره بعض الجماعات الدينية اليوم)) (الرفاعي، ٢٠٢٤، صفحة ٢٢٠).

هذا القول يعكس بوضوح جوهر المشروع الفكري لعبد الجبار الرفاعي الذي يميّز فيه بين الدين في جوهره الإنساني والروحي وبين الدين حين يُختطف أو يُشوَّه عبر توظيفه أيديولوجيًا. فهو يرى أن الدين حين يُستخدم أداة في يد الأيديولوجيا يتحوّل من قوة بناء روحي وأخلاقي إلى أداة للهدم، تدمّر الإنسان والحضارة. وهو هنا يشير ضمنًا إلى الجماعات المتطرفة التي تحتكر تفسير الدين وتحوّله إلى خطاب عنف وإقصاء. وتكمن أهمية هذا الطرح في أنه ينبه إلى ضرورة تحرير الدين من الاستخدام السياسي أو الأيديولوجي الذي يسلبه روحه الأخلاقية ويحوّله إلى سبب للصراع بدلاً من كونه مصدرًا للسلام والمعنى.

لا يغضّ الرفاعي الطرف عن حقيقة الشرّ الذي قد ينشأ من الدين بل يتعامل معه بقلق عميق يماثل قلقه على الإنسان ومعاناته الوجودية. فهو واعٍ بأن المقدّس يمكن أن يتحوّل أحيانًا إلى مصدر للعنف الأخلاقي إذ يقول:

((من يريد أن يعلّم الناس الحياة يستطيع أن يوظّف الدين، كما يستطيع من يريد أن يعلّم الناس الموت استغلال الدين، وهو ما تقوم به الجماعات المتشددة العنيفة في مختلف الأديان... فقد يتحوّل التدين إلى عنف حين يُفهَم الدين على أنه مجرّد دعوة إلى الموت، وتُقرأ نصوصه قراءة منغلقة متشددة، ويمثله الأفراد والجماعات باعتباره إعلان حرب لا تنتهي ضد كل مختلف في العقيدة)) (الرفاعي، ٢٠٢١م، صفحة ١٦) وانطلاقًا من هذا الوعي يسعى الرفاعي إلى تجفيف منابع الشر الذي يتغذّى على الدين وفكرة المقدّس، إذ يرى أن من الضروري إنقاذ البُعد الإنساني داخل الدين نفسه وهو ما يعبّر عنه بمصطلحه الخاص (إنقاذ الإنسانية في الدين).

أولا- التراث ولغة العنف:

يرى الرفاعي أنّ التراث ليس سوى ((مجموعة الممارسات الدينية والعقائد والمفاهيم السائدة في حقبة معينة من حياة المسلمين، وهو مفهوم ثقافي أنثروبولوجي، لذا فالمجال مفتوح أمام المتألهين المسلمين في كل زمان لنقد ذلك التراث وتفكيكه، إذ بوسعهم غربلة ونقد المسلمات والمسبقات والميول، ومقدمات فهم الكتاب والسنة، والتطلعات الدينية الموروثة من عصور سالفة)) (الرفاعي، ٢٠١٨م، صفحة ١٧٤). وللمحافظة على جذوة الإيمان متقدةً، يدعو الرفاعي إلى تبني إيمان نقدي قادر على تجاوز الكم التراكمي من الشروح والتأويلات التي أنتجتها مجريات التاريخ وأحداثه. كما يطالب الرفاعي بضرورة تطهير اللغة من العنف الكامن في ألفاظها المتراكمة عبر الزمن تلك التي يستخدمها الناس في أحاديثهم اليومية دون وعي منهم. يقول الرفاعي: ((تطهير اللغة من الكلمات والمصطلحات القدحية المشبعة بالتشهير بالآخر ضرورةٌ يفرضها عنف الواقع، الذي يضج بالأحتراب والصراع الديني والطائفي، وينبغي أن تتسع عملية تطهير اللغة من العنف لتشمل المقررات الدراسية في سائر مراحل التعليم.)) (الرفاعي، ٢٠١٨م، صفحة ١٧٤). ليس المقصود تطهير اللغة من التراكيب والأساليب التي تنطوي على

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.375-383
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٣٧٥-٣٨٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

عنف لفظي وحسب، بل ينبغي أيضًا تجديدها والانتقال إلى لغة أخرى حديثة، تبتعد عن ألغاز اللغة القديمة وغموضها، لتصبح لغة (تستقي من المكاسب الجديدة للمعارف والعلوم والفنون والآداب، وتعبّر عن الفهم الجديد للطبيعة الإنسانية، وحقوق وحريات الإنسان (الرفاعي، ٢٠٢١م، صفحة ٧٦).

ولم يكتفِ الرفاعي بمحاولة تجفيف منابع الشرّ الديني الصريحة التي تستمد منها مفاهيمها ومقولاتها، بل تصدى أيضًا لمحاولات خفية يُستَرَقُ فيها الدين، مثل محاولات أسلمة المعرفة. (كان للرفاعيّ اهتمام بموضوع أسلمة المعرفة، فأشرف على إصدار العدد ٢٣ من مجلة (قضايا إسلامية معاصرة)، عام ٢٠٠٣م، وكان موضوع العدد بعنوان: (إشكاليّات أسلمة العلوم: التمركز والتحيّز في المعرفة) كما عالجه في كتابه (الدين والنزعة الإنسانيّة) في الفصل المُعَنْوَن بـ(إسلامية المعرفة أيديولجيا وليست معرفةً) (الرفاعي، ٢٠١٨م، الصفحات ١٥٥-١٧٠) والتجاوز بالدين عن حدوده الأنطولوجية في أي نسق سواء أكان دينيًا أم فلسفيًا.

ثانياً-نقد أدلجة الدين من الأنطولوجيا الى الأيدولوجيا بين شريعتي وحنفي:

ومن الأفكار التي منحها الرفاعي اهتمامًا كبيرًا في هذا السياق قضية ترحيل الدين من مجاله الأنطولوجي الواسع إلى سياقات وظيفية ضيقة يجري فيها استلابه وتسخيره لخدمة أهداف محدودة ما يُميت رحمانيته ورحابته الأنطولوجية، ويجعله أكثر عنفًا وانغلاقًا ونبذًا للآخر. ومن هنا جاء نقده لعلي شريعتي (أفردَ الرفاعيُّ فصلًا لنقد علي شريعتي تحت عنوان: «المثقف الرسولي علي شريعتي: ترحيل الدين من الأنطولوجيا إلى الأيديولوجيا»، واعتمد فيه على آثار شريعتي بلغتها الأصليّة (الفارسيّة) (الرفاعي، ٢٠١٨م، الصفحات ٩٥-١٣٠).

وحسن حنفي (يعودُ الرفاعي إلى مناقشة موضوع «اختزال الدين في الأيديولوجيا» في كتابه «الدين والنزعة الإنسانية»، وفي هذه المرة يتناول حسن حنفي بجانب علي شريعتي مرة أخرى (الرفاعي، ٢٠١٨م، صفحة ٧٣).

اللذين سعيا بما يملكان من أدوات معرفية ومهارات فكرية إلى اختزال الدين وتحويله من ثقافة إلى أيديولوجيا عبر تثويره واستلاب رسالته الأصيلة واستنطاق اليسار فيه. لذا يرفض الرفاعي ما سُمّي (لاهوت التحرير) وانتقد محاولات شريعتي العشوائية لأدلجة الدين، وكذلك محاولات حنفي التي خفّضت الأبعاد الميتافيزيقية للدين لصالح الأبعاد الدنيوية.

ولا يترك الرفاعي مفهومه عن (الأيديولوجيا) عائمًا أو غامضًا بل يحرص على تحديده بدقة، إذ يؤكد أنه لا يعني بها في أي من كتبه علم الأفكار، أي دراسة الأفكار دراسة علمية وإنما يعني بها نظامًا لإنتاج المعنى السياسيّ، يصنع نسيج سلطة متشعبة لإنتاج حقيقة متخيلة وفقًا لأحلام مسكونة بعالم طوباوي موهم، وهي بهذا المعنى تزييف للحقيقة وطمس لمعناها عبر حجب الواقع (الرفاعي، ٢٠٢١، صفحة ١٠٢). ويرى أن الأيديولوجي يُزيّف اللغة ويُحدث انقطاعًا بين الدال والمدلول، بين القول والواقع الذي يُفترض أن يعبّر عنه (حيدر، ٢٠٠٢م، صفحة ٣٠). ومن هنا تنبع خطورتها بشتى أنواعها وتجلياتها – في نظر الرفاعي – من كونها ((نسق مغلق يُغذّي الذهن بمجموعة معتقدات ومفاهيم ومقولات نهائية، تعلن الحرب على أي فكرة لا تشبهها، فتنتهي إلى إنتاج نسخ متشابهة ظاهريًّا من البشر، وتجييش الجمهور خلف رأي واحد وموقف واحد)) (الرفاعي، ٢٠١٨م، صفحة ١٣٤).

وفي هذا السياق يرى الرفاعي أن ((الدين يفقد رسالته، بوصفه حياة في أفق المعنى، حين ينزلق ويهجر مجاله الروحي والأخلاقي والجمالي ليسقط في فخ الأيديولوجيا، فيتحوّل الدين الذي تبتلعه الأيديولوجيا إلى أداة للصراع على السلطة والمال والثروة، وينتهي مصيره إلى البؤس الذي انتهت إليه الأيديولوجيات اليسارية والقومية والأصولية في بلداننا (الرفاعي، ٢٠٢١، صفحة ١٠٣).

تحت ظل تعريفه الأثير للدين بأنه (حياة في أفق المعنى) يوجه الرفاعي نقده لكل فكرة تُجاوز بالدين طبيعته ووظيفته الأساسية، إذ يرى فيه ((نظامًا لإنتاج معنى روحي وأخلاقي وجمالي للحياة، تفرضه حاجة الكائن البشري الأبدية للمعنى في حياته الفردية والمجتمعية)) (الرفاعي، مقدمة في علم الكلام الجديد، ٢٠٢١م، صفحة ١٧٦).

ولهذا ينتقد محاولات استراق الدين واستلابه عن طريق أدلجته لدى علي شريعتي، أو تثويره فيما سُمّي (لاهوت التحرير) عند حسن حنفي وغيرهما.

ويشرح الرفاعي (لاهوت التحرير) بقوله إنه ((مصطلح تداوله الباحثون في الستينيات من القرن الماضي، وإنْ كان مدلوله يواكب الأديان في مختلف العصور فالأديان تسعى إلى مناهضة الظلم والتسلط والاستبداد والطغيان... وفي السبعينيات من القرن العشرين اهتمت مجموعة من المفكرين بصوغ رؤية للمقاومة تتخطى الفقه وتعمل على الاستناد إلى العقيدة كمنطلق للثورة بتحليل المدلول الاجتماعي لأصول الدين واستلهام الثورة من العقيدة) (الرفاعي، ٢٠١٨م، صفحة ٧٥).

ويحدّثنا الرفاعي عن علاقته بحسن حنفي وما عُرف بـ (اليسار الإسلامي)، ثم يحلل أفكار مشروعه الأساسية ومنطلقاته الفكرية، لينتهي إلى نقدها. يقول: ((لاهوت التحرير عند حنفي وشريعتي يختزل الدين في أيديولوجيا المقاومة والثورة، ويطمس الوظيفة المحورية للدين. الدين أعمق من الأيديولوجيا. الأيديولوجيا مظهر وتعبير اجتماعيان للدين. تحويل الدين إلى أيديولوجيا يعني: اختزال الإنسان في بُعد واحد، واختزال الروح في القانون، والعقيدة في الثورة، والله في الإنسان، والإلهي في البشري، والسماء في الأرض، والغيب في الشهادة، والميتافيزيقا في الطبيعة، والآخرة في الدنيا... وحين يتحول الديني إلى دنيوي تختلط الحدود بينهما، فيجري تعميم الفهم الديني لكافة حقول المعارف البشرية، وتديين المعرفة في نهاية المطاف يُفضي إلى التضحية بالعقل والخبرة البشرية المستقلة عما هو ديني)) (الرفاعي، ٢٠١٨م، الصفحات ٩٠-٩١). ورغم ما وجّهه الرفاعي من نقد عنيف إلى شريعتي إلا أنه لم يُخف إعجابه بروحه وإيمانه وحسّه الفني وكان مدركًا أن نقده موجّه إلى ذلك البعد في فكره الذي يرحّل الدين من رحابة الأنطولوجيا إلى ضيق الأيديولوجيا دون أن ينكر أن لشريعتي أبعادًا أخرى يقبلها ولا يرفضها. يقول الرفاعي: ((تتجلّى في شخصية علي شريعتي أبعاد عديدة تتمثل في: المثقف الرسولي، الداعية النبوي، الأخلاقي، المؤمن، الإنسان، النبيل، الغيور، الشهم، الشاعر، الفنان، الرؤيوي، الأديب، الناقد، العاطفي، العاشق، المتمرد، القلق، المتبرم، الحالم، الثائر، الفدائي... تتداخل في تفكير ومشاعر وأحاسيس شريعتي عقلية الفنان، حساسيات الشاعر، مشاعر العاشق، غيرة المؤمن، ذوق المتصوف، ذوق العارف، أشواق العارف، بوح الشجاع، جسارة المتمرد، تهور المغامر. وهي أبعاد تبدو متنافرة، إذ عادةً لا تجتمع كلها وتتوحّد في شخصية واحدة بإيقاع كأنه متناسق، إلا في حالات نادرة)) (الرفاعي، ٢٠١٨م، الصفحات ١١٦-١١٧). ويوجه الرفاعي سهامه كذلك إلى فكرة تعتبرها كثير من الجماعات الدينية أصلًا محوريًّا من أصول الدين وتسببت في كثير من العنف الديني عبر العالم وأدخلت الدين في مأزق وجعلته عرضةً للاتهام

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.375-383
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٣٧٥-٣٨٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

الدائم وهي فكرة الخلافة والدولة الدينية. إذ يرى أن دعاة هذه الفكرة أسرى الماضي البعيد ولا يمتلكون القدرة على تجاوز حدود التراث الفقهي والعقدي المرهون بالتاريخ في هذه المسألة. فهم لا يستطيعون استيعاب مفهوم (المواطنة) بما ينسجم مع العصر الحديث ولا يعرفون معنى العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم ويعيشون في وهم طوباوي مستدعين الماضي للحاضر وكأن الزمن لديهم مفهوم جامد متوقف منذ قرون دون حركة أو تطور. ويرى الرفاعي أن محاولات تديين السياسة وفرض أنماط دينية على السلطة السياسية إنما هي توظيف للدين وتعتيم عليه إذ يعني حضور الديني في السياسي وفق منظومته الفكرية إقامة دولة دينية تنتمي إلى ما قبل الدولة الحديثة دولة ((يعتمد تدوين دستورها ومختلف تشريعاتها وقوانينها وبرامجها على علم الكلام والفقه وفتاوى الفقهاء)) (الرفاعي، ٢٠٢٢م، صفحة ٩٥). ويرى أن ذلك يؤدي إلى استخدام ((مختلف الوسائل المشروعة كالانتخابات أو غير المشروعة كالعنف المسلح بغية بناء هذه الدولة وإغراق حياة المسلمين بأوهام الوعود الخلاصية والزج بأعداد غفيرة من الشباب إلى التضحية بمستقبلهم ومصائرهم)). (الرفاعي، ٢٠٢٢م، صفحة ١٠٠). يشير الرفاعي إلى أن ((الإنسان الذي هو موضوع دولة المسلمين أمس هو الإنسان بوصفه مسلمًا بالمعنى الكلامي والفقهي، أما الإنسان الذي هو موضوع الدولة الحديثة فهو الإنسان بوصفه مواطنًا، الإنسان بوصفه مسلمًا هو الذي كان يحدد هوية الدولة ويتحكم تعريفه بتوصيف هويتها. كل تشريع وقرار وموقف يُتخذ في إطار توصيف مسلم ينبغي أن يكون معيارُه الانتماء للإسلام، وكل ما لا ينتمي إلى الإسلام يُفترض ألا يكون مكوّنًا لماهية هذه الدولة)) (الرفاعي، ٢٠٢٢م، صفحة ٩٦).

ثالثا- قراءة في جذور العنف واستعادة المعنى الروحي:

عبد الجبار الرفاعي في كتابه الدين والظمأ الأنطولوجي يناقش مسألة العلاقة بين الأيديولوجيا والدين ويكشف عن الدور الذي تلعبه الأيديولوجيا في تحريف الدين وتحويله إلى أداة للتحريض والتعبئة اذ يقول ((الايديولوجيا تهتم بإيقاظ ما يختزنه المجتمع من مكبوتات تاريخية، وجروح موجعة، وإثارة مشاعر مقموعة محبطة، توظف كوقود لتحريض الغرائز، وإنتاج بيئة متوترة مشبعة بالحساسيات والانفعالات الدفينة، بغية إقحام المجتمع فيما ترمي إليه)) (الرفاعي، ٢٠٢٤، صفحة ١٧٢).

النص هذا يشير إلى أن الأيديولوجيا تسعى لإثارة المكبوتات التاريخية والجروح النفسية العميقة في المجتمع. وتستغل الأيديولوجيا تلك المشاعر والمكبوتات كوسيلة للتحريض على العنف والكراهية، ما يخلق بيئة مشبعة بالتوتر والانفعال، تسهّل تحقيق أهدافها السياسية أو الفكرية. فأن إيقاظ المكبوتات والجروح يقصد الرفاعي هنا أن الأيديولوجيا تتلاعب بالذاكرة الجمعية حيث تعيد استحضار الصراعات التاريخية والآلام الاجتماعية مما يثير مشاعر الحقد والانقسام وأيقاظ روح الطائفية في المجتمع. أما عبارة تحفيز الغرائز فهي تستغل الأيديولوجيا من مشاعر الإحباط والظلم وتحولها إلى طاقة سلبية تُوجه نحو الآخر المختلف. ولو ركزنا في النص ونظرنا الى عبارة إنتاج بيئة متوترة وفقًا للرفاعي الهدف النهائي للأيديولوجيا هو خلق صراعات داخل المجتمع لتحقيق غاياتها سواء كانت سياسية أو عقائدية. الحل الذي يقترحه الرفاعي يتمثل في إعادة الدين إلى جوهره الروحي والإنساني بعيدًا عن التوظيف الأيديولوجي. ويرى أن التطرف ينشأ نتيجة تشوه فهم الدين بسبب الجمود الفكري والنصوصية المفرطة. ويربط بين الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في العالم الإسلامي وبين انتشار الأفكار المتشددة. ويمكن لنا ان نعرف (الأيديولوجيا الدينية) هي استخدام الدين أو النصوص الدينية كأداة لتبرير أو تحقيق أهداف اجتماعية، سياسية أو اقتصادية معينة، بدلاً من التركيز على جوهر الدين كمنظومة روحية وأخلاقية. أمثلة على الأيديولوجيا الدينية تشمل:

١- **الحركات الأصولية**: الإسلام السياسي: مثل جماعة الإخوان المسلمين أو التيارات السلفية الجهادية التي تسعى لتطبيق رؤية سياسية مستمدة من تفسير محدد للشريعة الإسلامية، مع تقديم الدين كإطار شامل لإدارة المجتمع. والصهيونية الدينية التي تجمع بين القومية اليهودية والتعاليم الدينية مبررة إنشاء دولة إسرائيل على أسس دينية وأيديولوجية (ارمسترونغ، ٢٠٠٥م، صفحة ٢٠٥).

٢- **الدين كأداة للهيمنة**: الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى. عندما استخدمت الكنيسة الدين لفرض سيطرتها السياسية والاجتماعية، مثل تبرير الحملات الصليبية أو ممارسات محاكم التفتيش والدعوة إلى (الحروب المقدسة) او (الحروب الصليبية) (قاسم، ٢٠٠٥م، صفحة ٢٢).

٣- **تسييس الدين في الأنظمة الحديثة**: إيران بعد الثورة الإسلامية (١٩٧٩) حيث أصبح الدين مكونًا أيديولوجيًا أساسيًا للحكم، مع تقديم ولاية الفقيه كنظام سياسي مستمد من الفكر الشيعي .وكذلك السعودية والنظام الوهابي الذي يعتمد على تفسير معين للإسلام لدعم السلطة السياسية للنظام الحاكم (الوهاب، ٢٠٠٢م، صفحة ١٣٥).

٤- توظيف الدين في حركات التحرر: الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي حيث تم توظيف الخطاب الإسلامي لتعبئة الشعب ضد الاحتلال. وكذلك المقاومة الفلسطينية مثل حركة حماس التي تستخدم الخطاب الإسلامي في إطار النضال السياسي والعسكري ضد الاحتلال الإسرائيلي.

٥- الجماعات المتطرفة. (تنظيم القاعدة) التي تمزج بين الإسلام والسياسة لتبرير العنف ضد الأعداء. كذلك داعش (تنظيم الدولة الإسلامية) التي تقدم نفسها كدولة إسلامية تطبق الشريعة وتستند إلى تفسير أيديولوجي صارم للدين.

الرفاعي يعالج موضوع الإرهاب والتطرف من خلال نقده العميق لتحويل الدين إلى أيديولوجيا من وجهة نظره ويقدم حلاً لهذه الظاهرة الخطيرة من خلال بعض النقاط وهي:

١- **الدين كمنبع للمعنى والروحانية**: يركز الرفاعي على إعادة الدين إلى جوهره الأساسي باعتباره مصدرًا للمعنى والتواصل الروحي، وليس أداة للتعبئة السياسية ويذكر الرفاعي قولاً مهماً في هذ السياق في كتابه (الهرمنيوطيقا والتفسير الديني للعالم) يقول ((ان أردنا ان يسجل الدين حضوراً فاعلاً في بناء وأخصاب الحياة الروحية والاخلاقية، فلا يتحقق ذلك الا بقراءة جديدة للنص الديني. وان محاولات رفض هذه القراءة انما هو ضرب من معاندة التاريخ وتعطيل تدفق المنبع الروحي والاخلاقي للوحي)) (الرفاعي، ٢٠١٧م، صفحة ٨).

٢- **الأيديولوجيا والدين**: يرى أن الأيديولوجيا تختزل الدين في جانب محدد، فتجرده من روحه الأخلاقية والإنسانية وتحوله إلى خطاب صدامي. واذا اردنا التخلص من هذه الايدولوجيا الدينية فعلينا الدعوة الى تحديث التفكير الديني في الاسلام، ولا يمكننا ذلك ((الا بالخلاص من الأنساق اللاهوتية المتوارثة، التي يجري فيها خلط وتلبيس بين الله وتصور البشر لله، بين المقدس وتصور البشر للمقدس

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.375-383
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٣٧٥-٣٨٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

بين الدين ومعرفة البشر للدين. وفضح العنف والتعسف والطغيان، الذي ظل على الدوام يستغل صورة الله، ويمارس العدوان ويسفك الدماء بأسمه)) (الرفاعي، ٢٠١٤م، صفحة ٢١).

٣- **دعوة للتجديد**: يدعو الرفاعي إلى قراءة معاصرة للدين تتجاوز الأطر الأيديولوجية وتعزز قيم التسامح والتعددية.

٤- **نقد استغلال الدين**: يشدد على خطورة استخدام الدين كغطاء لتبرير العنف أو شرعنته، ويرى أن هذا الاستغلال يؤدي إلى تشويه صورة الدين نفسه. يشير إلى أن التديّن الذي يُبنى على المنفعة والمصلحة يؤدي إلى تفريغ الدين من معانيه الروحية والإنسانية. هذا النوع من التديّن يجعل الأفراد يمارسون الدين ظاهريًا لتحقيق مكاسب اجتماعية أو اقتصادية.

رابعاً- دور الدين في مكافحة التطرف:

يؤكد أن الدين الحقيقي ليس مصدرًا للعنف بل يمكن أن يكون أداة للسلام إذا أعيد فهمه بشكل صحيح. وينادي بضرورة التمييز بين الدين كمصدر للقيم وبين التفسيرات البشرية التي قد تشوه معانيه.وينتقد الخطابات الدينية التي تركز على التحريم والعداء للآخر، مشددًا على أهمية الاعتدال والحوار.يدعو المؤسسات الدينية إلى تحمل مسؤوليتها في تجديد خطابها وتقديم فهم إنساني للدين. في مجتمعنا الديني الكثير من القادة وصناع الرأي وحتى اساتذة واكاديميين يستخدمون خطاب ديني أيدلولجي ويذكر الرفاعي في هذا السياق في كتابه (الدين والاغتراب الميتافيزيقي) ((قد اثار استغرابي حديث أحد هؤلاء مع مجموعة من الاساتذة الجامعيين ببغداد بهذه اللغة ، فتكلمت مع مستشار مقرب منه ، وقلت له: من الضروري ان يعيد صاحبك النظر في لغته ، لأنه اليوم ليس واعظاً يلقي عظته بمسجد ، بل هو قائد يمثل كل العراقيين بمختلف اعتقاداتهم وانتماءاتهم وأثنياتهم)) (الرفاعي، ٢٠١٩م، الصفحات ٥٨-٥٩).

الرفاعي في هذا النص يعكس جانبًا من نقده للخطاب الديني التقليدي عندما يخرج من سياقه المناسب ويدخل في فضاءات أوسع كالمجال السياسي والاجتماعي. وينتقد استخدام لغة وعظيه ودينية ضيقة في أماكن تتطلب خطابًا يتسم بالشمولية والتنوع الثقافي، مثل قيادة بلد متعدد الأعراق والمذاهب كالعراق. الفكرة هنا أن المسؤول، خصوصًا في المناصب القيادية، يجب أن يبتعد عن لغة التبشير الضيقة التي تقتصر على فئة معينة، ويتبنى لغة جامعة تمثل جميع المواطنين دون استثناء. هذا النقد يعكس رؤية الرفاعي لضرورة تجديد الخطاب الديني بما يجعله أكثر ملاءمة للواقع المتعدد والمتنوع، وهي مسألة تطرح في سياق أوسع عن العلاقة بين الدين والسياسة، وضرورة أن يكون الخطاب القيادي شاملاً وجامعًا بعيدًا عن الإقصاء. يتطلب الواقع الحالي فكرًا دينيًا قادرًا على مواجهة تحديات التطرف والإقصاء. وهنا يمكن أن نستخلص أن الرفاعي يدعو إلى تأسيس خطاب ديني يتسم بالمرونة والعقلانية، ويكون جزءًا من الحل لا جزءًا من المشكلة.

وهنا نود أن نطرح سؤال وهو كيف يمكن ان يكون الدين دوراً في مكافحة التطرف والإرهاب؟

نحن نعلم والقارئ بان معظم الارهابيين والمتطرفين في العالم سواء كانوا من المسلمين او غير ديانة الاسلام هم بالأصل متدينين وينتمون لجماعة معينة ترى الحقيقة عندهم لا غيرهم. اذن كيف يرى الرفاعي حلا لهذه الاشكالية؟

يؤكد الرفاعي على أن الدين يمكن أن يكون وسيلة فعّالة لمكافحة التطرف والإرهاب، وذلك من خلال تحرير النصوص الدينية من التفسيرات المتشددة التي تُغذّي العنف والكراهية. ففي ورقته المقدمة في مؤتمر الأزهر ومجلس حكماء المسلمين بعنوان (دعوة لإنقاذ النصوص الدينية من الجماعات التي لا تقرأها إلّا في الظلام) يشير الرفاعي إلى أن الجماعات المتطرفة تعتمد على قراءات عنيفة للنصوص الدينية، مما يؤدي إلى تحويل الدين إلى مصدر للكراهية والعنف. ويُشدّد على ضرورة مراجعة وتفكيك هذه التفسيرات المتشددة، وتقديم فهم أكثر إنسانية ورحمة للنصوص الدينية، مما يُسهم في مكافحة التطرف والإرهاب.بالإضافة إلى ذلك، يوضح الرفاعي أن مكافحة الإرهاب لا تقتصر على ملاحقة الأفراد المنفذين، بل يجب التركيز على المصنع الذي يُنتج هؤلاء الانتحاريين، والمتمثل في الأيديولوجيات والفتاوى المتطرفة التي تُسمّم عقول الشباب. ويؤكد أن الخلاص من الإرهاب يتطلب الخلاص من هذه المعتقدات التي تُشعل نيران العنف في الأذهان والقلوب. لذلك هو يرى ان الدين ظاهرة انسانية باعتبار الدين استجابة لحاجة أنطولوجية لدى الإنسان، حيث يعبر عن القلق الوجودي والبحث عن المعنى. ويقدم لنا مرتكزين مهمين في النظر للدين وخصوصاً النظر في تراثنا الاسلامي وهما:

١- **النقد للقراءة النصوصية وضرورة الهرمنيوطيقا:** يؤكد أن القراءة الحرفية للنصوص الدينية هي إحدى المسببات الرئيسية للتطرف. لذلك الرفاعي يطالب بأدوات الهرمنيوطيقا والتحرر من قراءة النصوص المقدسة (الرفاعي، ٢٠١٧م، صفحة ٨).

٢- **القيم الإنسانية في الدين:** يُبرز أهمية إعادة الدين إلى جوهره الأخلاقي والإنساني بعيدًا عن الهيمنة السياسية.يعتبر أن الأديان تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن أخلاقيًا وروحيًا.

ولنُعَرّج قليلًا على مصطلح (الهرمنيوطيقا) ومعناه. (فقد خصَّصت مجلة (قضايا إسلامية معاصرة) خمسة أعداد لتناوله بالتفصيل. (وهي الأعداد ٥٣-٥٤ (شتاء وربيع ٢٠١٣)، ٥٧-٥٨ (شتاء وربيع ٢٠١٤)، ٥٩-٦٠ (صيف وخريف٢٠١٤)، ٦١-٦٢ (شتاء وربيع ٢٠١٥م)، ٦٣-٦٤ (صيف وشتاء ٢٠١٥)، تحت عنوان (الهرمنيوطيقا والمناهج الحديثة في تفسير النصوص الدينيّة). وتُعْرَف الهرمنيوطيقا أو ما يُعرف بنظرية التأويل ((بأنها العلم المعنيُّ بدراسة عمليات الفهم، لا سيّما تلك المتعلِّقة بتفسير وتأويل النصوص)) (مصطفى، ٢٠٠٧م، صفحة ١٢).

وقد عبَّر عنها رودولف بولتمان بقوله: ((فنُّ فهمِ تعبيراتِ الحياة المكتوبة)) (بولتمان، ٢٠١٤م، صفحة ١٠٨).

أما من حيث الأصل اللغوي فالكلمة مشتقة من الفعل اليوناني Hermeneuein والذي يعني (يفسّر) والأسم Hermeneia الذي يعني (تفسير)، ويبدو أن الكلمتين على صلة بالإله اليوناني هرمسHermes ، رسول آلهة الأولمب، والذي كان بحكم وظيفته يجيد لغة الآلهة ويفهم ما يدور في أذهانهم فيترجم مقاصدهم إلى البشر.

وعلى الرغم من وجود شكوك حول العلاقة اللغوية الدقيقة بين مصطلح الهرمنيوطيقا والإله هرمس، فإن تشابه الخصائص بينهما يؤكد وجود صلة معنوية قوية (مصطفى، ٢٠٠٧م، صفحة ١٢).

وقبل الانتقال الى موضوع (علم الكلام الجديد)، من المهم أن نستعرض المقارنة التي عقدها عبد الجبار الرفاعي بين محمد عبده ومحمد إقبال والتي قد تبدو صادمة للبعض. (قام الرفاعي بهذه المقابلة في فصل حمل عنوان: (محمّد عبده ومحمّد إقبال): رؤية في الإصلاح

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.375-383
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٣٧٥-٣٨٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

ورؤية في التجديد، (الرفاعي، ٢٠١٨م، الصفحات ٢٠٧-٢٢٤). وهذا الفصل هو الورقة التي قدّمها عبد الجبار الرفاعي في: الندوة الدولية بمناسبة الذكرى المئوية لرحيل الإمام محمّد عبده، (المعهد الفرنسي للشرق الأدنى – حلب)، ٩ – ١٠ نوفمبر ٢٠٠٥).

فقد انتهى الرفاعي إلى أن ما يُنسب إلى محمد عبده من تجديد هو أمر مبالغ فيه، مشيدًا في المقابل بالدور الفلسفي الذي أدّاه محمد إقبال والذي – لولا انشغاله بالسياسة – لكان وضع منهجًا كلاميًا متكاملًا. فمحمد عبده برأي الرفاعي لم يتجاوز حدود إطلاق فتاوى جديدة وظل متمسكًا بأصول الفقه والكلام التقليدي دون اجتهاد فعلي في تأسيس رؤية جديدة للوحي أو الخطاب الديني، بل بقي أسير الذهنية المدرسية القديمة. لذا يرى الرفاعي أن محمد عبده لا يمكن إدراجه ضمن أعلام علم الكلام الجديد لأنه يفتقر إلى الحس التاريخي ولم يخرج عن الإطار التقليد (الرفاعي، ٢٠٢١م، الصفحات ١٢١-١٢٢).

هذه الرؤية الناقدة تجد صداها حتى عند من يثنون على عبده، كأحمد الطيب مثلًا. (شيخ الأزهر الحالي، تولّى المشيخة عام ٢٠١٠م خلفًا للشيخ محمد سيد طنطاوي). الذي كتب دراسة بعنوان ((الإمام محمد عبده متكلِّمًا))، اعتبر فيها أن (رسالة التوحيد) هي النص الوحيد الذي يمكن من خلاله تحليل ملامح فكر عبده الكلامي. ورغم أن الطيب يرى في عبده مفكرًا متحررًا من المذهبية الكلامية إلا أنه يقر بأن عبده لم يأتِ بجديد فعليّ بل كرّر ما هو موجود مسبقًا في التراث، ولم تتجاوز تجديداته حدود الشكل والأسلوب، حيث اكتفى بتطوير طرق الاستدلال والبرهنة لتتماشى مع معارف عصره (عيش، ٢٠٢٠م، الصفحات ٣٠٦-٣٠٧).

ويذهب حسن الشافعي في الاتجاه نفسه (أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية دار العلوم، ورئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر). إذ يثني على حسن ترتيب محمد عبده للمسائل الكلامية وفق أولويات الفكر المعاصر ويشير إلى اعتداله بين المذاهب الكلامية والتصوف لكن دون أن ينفي أنه بقي في إطار التراث، ولم يخرج عليه جذريًا (الشافعي، ٢٠١٦م، الصفحات ٨٥-٨٦).

أما محمد إقبال فقد تبنّى مسارًا مغايرًا تمامًا وسعى بوضوح إلى زحزحة علم الكلام القديم. انصبت جهوده على بناء فلسفة دينية بديلة مستفيدة من الفلسفة الغربية وعلوم الإنسان المعاصرة ولم تكن منغلقة على ذاتها أو مكتفية بالتراث (الرفاعي، ٢٠١٨م، صفحة ٢١٧).

ففي كتابه (تجديد التفكير الديني في الإسلام) الذي يُعَدُّ أول نصٍّ حقيقي في علم الكلام الجديد، يعالج إقبال التجربة الدينية معالجة فلسفية عميقة ويقدِّم فيها تصورًا جديدًا للوحي، حيث يفرّق بين التجربة النبوية والتجربة العرفانية. فالعرفيّ يبقى منغلقًا في تجربته الذاتية بينما النبي يتجاوز تجربته ليغيّر الواقع من حوله. ويضع إقبال ذلك ضمن إطار تطوّر الوعي البشري، حيث يرى أن الوحي الإلهي كان ضرورة في مرحلة سابقة، ولكن عندما يبلغ العقل نضجه فإنه يصبح قادرًا على الاستقلال بذاته دون حاجة إلى مرجعية خارجة عنه (الرفاعي، ٢٠٢١م، صفحة ١٦٣).

وبناء على ما سبق يدعو الرفاعي الباحثين والمهتمين بتراث محمد عبده إلى إعادة قراءته نقديًّا وتحريره من الأحكام المسبقة وأوهام التبجيل والتمييز بين المعرفة البسيطة التي يحتويها تراث عبده والمعرفة المركّبة التي تميز بها محمد إقبال (الرفاعي، ٢٠١٨م، صفحة ٢٢٣).

فالمشكلة الجوهرية التي يعاني منها الفكر التجديدي الإسلامي برأي الرفاعي تكمن في أنه رغم الجرأة الظاهرة لم يتمكن من تجاوز المنهج التقليدي إذ ظل يعيد إنتاج التراث بمفاهيمه وأدواته نفسها ولم يستثمر الفلسفة الحديثة أو علوم الإنسان والاجتماع في فهم الدين أو نقد التراث نقدًا جذريًا. (الرفاعي، ٢٠١٩م، صفحة ١٧٤).

خامساً– التراث والتكفير في مرآة الرفاعي: قراءة في نقد الوصايا وتجديد علم الكلام:

في كتابه (مقدمة في علم الكلام الجديد) يقدم لنا الرفاعي نقداً لاذعاً للتراث الاسلامي ويقول ((لكي نتحرر من سطوة التراث وسلطته على كل شيء في تفكيرنا ، نحتاج منهجاً علمياً لكيفية التعاطي معه ، يحررنا بالتدريج من وصايته)) (الرفاعي، ٢٠٢٤م، صفحة ١٨٣).

ويقدم الرفاعي نقدًا تحليليًا للتراث الإسلامي مشيرًا إلى ضرورة التحرر من (أسطورة التراث) وسلطته الطاغية على التفكير. يمكن تحليل موقفه من التراث بناءً على ما ذكرنا من نصه كالتالي:

١- **النقد الجذري للتراث**: يرى الرفاعي أن التراث ليس مجرد موروث فكري أو ثقافي بريء، بل إنه يحمل سلطته التي تؤطر التفكير وتعيق الإبداع. ويعتبر هذا النقد دعوة لإعادة النظر في هذا التراث بعين تحليلية علمية، بعيدًا عن التقديس أو التسليم المطلق.

٢- **التحرر التدريجي**: لا يدعو الرفاعي إلى القطيعة المباشرة مع التراث، بل يؤكد على أهمية التحرر منه بشكل تدريجي. هذا يعني أن التخلص من سلطة التراث لا يتم دفعة واحدة بل يحتاج إلى عملية تراكمية ومنهجية تعتمد على الوعي النقدي والتحليل الموضوعي.

٣- **الحاجة إلى منهج علمي**: يشير الرفاعي إلى أن مواجهة التراث تحتاج إلى منهج علمي، وهو ما يعني استخدام أدوات بحثية نقدية تمزج بين فهم النصوص التراثية في سياقاتها التاريخية وتحليلها بطرق معاصرة. الهدف من ذلك ليس إلغاء التراث، بل إعادة موضعته كجزء من تاريخ الفكر بدلاً من كونه المهيمن على الحاضر والمستقبل.

٤- **رفض الوصاية**: ينتقد الرفاعي الوصاية التي يفرضها التراث على العقول والتي تحول دون التجديد أو التطوير. من وجهة نظره هذه الوصاية تجعل الفكر العربي والإسلامي عالقًا في الماضي غير قادر على مواجهة تحديات العصر.

ان أعظم مشاكلنا في التراث هو موضوع التكفير والرفاعي بخبرته الفلسفية والدينية قد ألتفت الى هذا الموضوع الخطير في مجتمعاتنا العربية الاسلامية اذ يقول: ((التكفير معضلة الاديان كلها ظهر التكفير في الاسلام في وقت مبكر. ليس هناك استثناء في التكفير لدى الفرق في الاسلام، في كل الفرق نجد من يكفر المختلف في المعتقد)) (الرفاعي، ٢٠٢٤م، صفحة ١٩٤).

يرى الرفاعي أن التكفير ظهر مبكرًا في الإسلام بسبب صراعات سياسية واجتماعية اتخذت لبوسًا دينيًا. وهذا ما جعل الفرق المختلفة تكفر بعضها البعض لتحقيق مكاسب أو لتبرير صراعاتها .ويشير إلى أن هذه الظاهرة ليست مرتبطة فقط بالإسلام، بل هي سمة عامة لكل الأديان التي تحوّلت إلى مؤسسات سلطوية، حيث يُستخدم التكفير كأداة إقصاء. ويحلل الرفاعي التكفير كظاهرة نفسية واجتماعية يراها نتيجة الخوف من الآخر المختلف والقلق من فقدان الهوية أو السلطة .

الرفاعي يعزو انتشار التكفير إلى ضعف الفكر النقدي والانغلاق على النصوص دون مراعاة الظروف التاريخية التي نشأت فيها. لذلك يدعو الرفاعي إلى تأسيس (علم كلام جديد) يعيد النظر في المفاهيم التقليدية ومن ضمنها مفهوم التكفير، ويقترح بناء خطاب ديني عقلاني وإنساني يركز على المشتركات الأخلاقية والقيمية بدلًا من التمسك بالخلافات العقائدية. ويشدد على أهمية تفسير النصوص الدينية بروح

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.375-383
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٣٧٥-٣٨٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

العصر بعيدًا عن التأويلات الحرفية التي تبرر العنف والإقصاء. ويؤكد أن الهدف الأساسي للأديان هو بناء إنسان أفضل ومجتمعات أكثر سلامًا، لذا يرى أن تكريس التكفير يخالف جوهر الدين. لذلك هو يدعو إلى ثقافة التسامح وقبول الاختلاف كبديل للتكفير. ويشير إلى ضرورة نقد الذات الإسلامية والخروج من الجمود الفكري الذي يعزز التكفير. ويرى أن الإصلاح الديني لا يمكن أن يتحقق إلا بتجاوز النصوص التي تدعو للإقصاء أو تفسيرها في إطار إنساني حديث. الرفاعي يعبر عن موقف عملي ضد ظاهرة التكفير يتمثل في:

اولاً - رفض أي خطاب ديني يقوم على إقصاء الآخر أو تكفيره.

ثانياً - العمل على نشر ثقافة الحوار والانفتاح بين الأديان والمذاهب المختلفة.

ثالثا- التركيز على القيم الإنسانية المشتركة التي توحد البشر بدلًا من التركيز على الاختلافات العقائدية.

خاتمة

في ضوء ما تَقدّم من عرض وتحليل لفكر عبد الجبار الرفاعي يتبيّن أنّ مشروعه الفكري يمثّل إحدى أبرز المحاولات الجادة في الفكر العربي والإسلامي المعاصر لإعادة بناء الخطاب الديني على أسس عقلانية وإنسانية. فقد استطاع الرفاعي أن يُشخّص بدقة أسباب الأزمة التي يعيشها الفكر الديني معتبراً أنّ جوهر هذه الأزمة لا يكمن في الدين نفسه وإنما في طرائق فهمه وتأويل نصوصه وفي الجمود الذي أصاب أدوات المعرفة الدينية وفي انغلاق المؤسسات الدينية على مناهج موروثة لم تعد قادرة على استيعاب تعقيدات الواقع الحديث.

لقد أكد الرفاعي أنّ الدين في أصله تجربة روحية وأخلاقية تُعنى بترقية الإنسان وإسعاده غير أنّ استغلاله من قبل الأيديولوجيا حوّله إلى أداة صراع سياسي واجتماعي، وأسهم في تغذية العنف والكراهية وأفرز أشكالاً من التديّن الشكلي القائم على الشعارات والطقوس دون جوهر أخلاقي وروحي. ولهذا يرى الرفاعي أنّ تحرير الدين من قبضة الأيديولوجيا يُعدّ شرطاً أساسياً لإصلاح الخطاب الديني ولإعادة الدين إلى وظيفته الأصلية باعتباره قوة أخلاقية تنشر قيم الرحمة والتعايش والحرية والعدل.

كما برز في مشروع الرفاعي إلحاحه على ضرورة تجديد علم الكلام أو ما أسماه "علم الكلام الجديد" ليصبح قادراً على التعامل مع الأسئلة الوجودية والأخلاقية والإنسانية التي يطرحها الإنسان المعاصر وليكون خطاباً دينياً عقلانياً يجيب عن قلق الإنسان في عصر الحداثة وما بعد الحداثة. ومن هنا يدعو الرفاعي إلى إعادة النظر في المفاهيم الأساسية للفكر الديني مثل مفهوم الحقيقة واليقين والحرية والتعددية وحقوق الإنسان، وينتقد النزعة الاحتكارية التي تعتبر أنّ الحقيقة المطلقة حِكرٌ على مذهب أو جماعة بعينها.

ومن أبرز النتائج التي يمكن استخلاصها من مشروع عبد الجبار الرفاعي:

١- أزمة الفكر الديني أزمة منهجية في المقام الأول، وليست أزمة نصوص، إذ يعزو الرفاعي الانغلاق والجمود إلى طرق الفهم والتفسير، لا إلى الدين ذاته.

٢- التديّن الحقّ ينبغي أن يكون تديناً روحياً أخلاقياً، يضع الإنسان في مركز اهتمامه، ويحرّر الدين من سطوة السياسة والأيديولوجيا التي استغلّته لتكريس الهيمنة والصراع.

٣- علم الكلام التقليدي لم يعد صالحاً لمعالجة أسئلة العصر، ولابد من تجديده ليصبح علماً إنسانياً عقلانياً متصالحاً مع قيم الحداثة، مع الحفاظ على جوهر الدين الروحي.

٤- الدعوة إلى قراءة تأويلية منفتحة للنصوص، تأخذ في اعتبارها تغير السياقات التاريخية والاجتماعية، وتبتعد عن القراءات الحرفية التي تعزل الدين عن الواقع.

٥- ضرورة إعادة تعريف مفهوم التدين ليكون تديناً إنسانياً يعزز قيم التسامح، والعدل، والحرية، بدلاً من أن يكون أداة للإقصاء والعنف.

٦- الإيمان الحق لا يتناقض مع العقلانية، بل يجد فيها وسيلته لتحقيق رسالته الأخلاقية والروحية، ما يستلزم قراءة عقلانية للنصوص دون انتقاص من قدسيتها.

٧- الفكر الديني بحاجة إلى الانفتاح على العلوم الإنسانية والفلسفة، لأن عزله عنها يُفقده قدرته على التجدد ومواكبة التحولات الحضارية.

إن مشروع عبد الجبار الرفاعي يقدم بديلاً معرفياً وإنسانياً لمواجهة ظاهرة العنف والتطرف الديني، ويسعى إلى تأسيس خطاب ديني عقلاني قادر على بناء جسور التواصل مع المختلف، وعلى جعل الدين في خدمة الإنسان والحياة، لا أداة للهيمنة والاقتتال. ولعلّ قيمة هذا المشروع تكمن في كونه لا يكتفي بالنقد، بل يقترح مسارات إصلاحية واضحة، ويقدّم رؤية فلسفية وروحية عميقة تؤسس لمستقبل الفكر الديني العربي والإسلامي على أسس إنسانية وعقلانية.

Funding
This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors

Conflict of Interest
The authors declare that there is no conflict of interest regarding the publication of this paper

Acknowledgments

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.375-383
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٣٧٥-٣٨٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

The authors would like to extend their heartfelt thanks to institution, for the moral support provided during the course of this research. The encouragement and guidance provided by the institution have helped tremendously in completing this research.

References

المصادر والمراجع

أحمد حيدر. (٢٠٠٢م). من الأيديولجيا إلى الفلسفة والدين. اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع.
المؤدب، عبد الوهاب. (٢٠٠٢م). أوهام الاسلام السياسي. دار النهار للنشر.
حسن الشافعي. (٢٠١٦م). قول في التجديد (المجلد الأولى). القاهرة: ذخائر الوراقين.
رودولف بولتمان. (٢٠١٤م). مسألة الهرمنيوطيقا. مجلة قضايا إسلامية معاصرة.
عادل مصطفى. (٢٠٠٧م). فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا – نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر (المجلد الأولى). القاهرة: دار رؤية.
عبد الجبار الرفاعي. (٢٠١٤م). تمهيد لدراسة فلسفة الدين. دار التنوير للطباعة والنشر.
عبد الجبار الرفاعي. (٢٠١٧م). الهرمنيوطيقا والتفسير الديني للعالم. دار التنوير للطباعة والنشر.
عبد الجبار الرفاعي. (٢٠١٨م). الدين والظمأ الأنطولوجي (المجلد الثالثة). بيروت - بغداد: دار التنوير، مركز دراسات فلسفة الدين.
عبد الجبار الرفاعي. (٢٠١٨م). الدين والنزعة الإنسانيّة (المجلد الثالثة). بيروت - بغداد: دار التنوير، مركز دراسات فلسفة الدين.
عبد الجبار الرفاعي. (٢٠١٩م). الدين والاغتراب الميتافيزيقي (المجلد الثانية). بغداد - بيروت: دار التنوير، مركز دراسات فلسفة الدين.
عبد الجبار الرفاعي. (٢٠٢١). الدين والكرامة الإنسانيّة (المجلد الأولى). بغداد - بيروت: دار التنوير، مركز دراسات فلسفة الدين.
عبد الجبار الرفاعي. (٢٠٢١م). مقدمة في علم الكلام الجديد (المجلد الأولى). الخرطوم: دار المصورات.
عبد الجبار الرفاعي. (٢٠٢٢م). الدين والاغتراب الميتافيزيقي (المجلد الثالثة). بغداد - بيروت: دار الرافدين، مركز دراسات فلسفة الدين.
عبد الجبار الرفاعي. (٢٠٢٢م). الدين والكرامة الإنسانية. بيروت - بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين، دار الرافدين.
عبد الجبار الرفاعي. (٢٠٢٤). الدين والظمأ الأنطولوجي. القاهرة: مؤسسة هنداوي.
عبد الجبار الرفاعي. (٢٠٢٤م). مقدمة في علم الكلام الجديد. مؤسسة هنداوي.
عبدة قاسم قاسم. (٢٠٠٥م). ماهية الحروب الصليبية. دار عالم المعرفة.
عثمان عبد المنعم عيش. (٢٠٢٠م). توضيح رسالة التوحيد (المجلد الثانية). أبو ظبي: مجلس حكماء المسلمين.
كارين ارمسترونغ. (٢٠٠٥م). النزعات الاصولية في اليهودية والمسيحية والاسلام. (حمد الجورا، المترجمون) دار الكلمة للنشر والتوزيع.

Sources and References

Ahmed Haidar (2002). From Ideology to Philosophy and Religion. Lattakia: Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution.
Al-Muaddib, Abdul-Wahab (2002). The Illusions of Political Islam. Dar Al-Nahar Publishing.
Hassan Al-Shafei (2016). A Saying on Renewal (Volume 1). Cairo: Dhakha'ir Al-Waraqeen.
Rudolf Bultmann (2014). The Question of Hermeneutics. Contemporary Islamic Issues Magazine.
Adel Mustafa (2007). Understanding Understanding: An Introduction to Hermeneutics – The Theory of Interpretation from Plato to Gadamer (Volume 1). Cairo: Dar Ru'ya.
Abdul-Jabbar Al-Rifai (2014). An Introduction to the Study of the Philosophy of Religion. Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing.
Abdul-Jabbar Al-Rifai (2017). Hermeneutics and the Religious Interpretation of the World. Dar Al-Tanweer for Printing and Publishing.
Abdul-Jabbar Al-Rifai (2018). Religion and Ontological Thirst (Volume 3). Beirut-Baghdad: Dar Al-Tanweer, Center for Studies in the Philosophy of Religion.
Abdul-Jabbar Al-Rifai (2018). Religion and Humanism (Volume 3). Beirut-Baghdad: Dar Al-Tanweer, Center for Studies in the Philosophy of Religion.
Abdul-Jabbar Al-Rifai (2019). Religion and Metaphysical Alienation (Volume 2). Baghdad-Beirut: Dar Al-Tanweer, Center for Studies in the Philosophy of Religion.
Abdul-Jabbar Al-Rifai (2021). Religion and Human Dignity (Volume 1). Baghdad-Beirut: Dar Al-Tanweer, Center for Studies in the Philosophy of Religion.
Abdul-Jabbar Al-Rifai (2021). Introduction to New Theology (Volume 1). Khartoum: Dar Al-Musawwarat.
Abdul-Jabbar Al-Rifai (2022). Religion and Metaphysical Alienation (Volume 3). Baghdad-Beirut: Dar Al-Rafidain, Center for Studies in the Philosophy of Religion.

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2025, Vol. 49, No. 112, PP.375-383
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
المجلد ٤٩، العدد ١١٢، ص ٣٧٥-٣٨٣
الجامعة المستنصرية

ISSN(p): 1814-635X, ISSN(e): 2521-3520

Abdul-Jabbar Al-Rifai (2022). Religion and Human Dignity. Beirut - Baghdad: Center for Studies in the Philosophy of Religion, Dar Al-Rafidain.

Abdul-Jabbar Al-Rifai (2024). Religion and Ontological Thirst. Cairo: Hindawi Foundation.

Abdul-Jabbar Al-Rifai (2024). Introduction to New Theology. Hindawi Foundation.

Abdah Qasim Qasim (2005). The Nature of the Crusades. Dar Alam Al-Ma'rifa.

Othman Abdel-Moneim Aish (2020). Clarifying the Message of Monotheism (Volume Two). Abu Dhabi: Muslim Council of Elders.

Karen Armstrong (2005). Fundamentalist Tendencies in Judaism, Christianity, and Islam. (Hamad Al-Jura, Translators). Dar Al-Kalima for Publishing and Distribution.

DOI: https://doi.org/10.23851/mjs.v36i3.1670

This article is an Open Access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license.
هذه المقالة مفتوحة المصدر، وتُنشر بموجب شروط وأحكام رخصة المشاع الإبداعي المنسوبة للمؤلف (CC BY) .